محمد كرد علي

أمراء البيان

دار الأمانة

محمد كرد علي

أمراء البيان

دار الأمانة

طبع هذا الكتاب بالاتفاق مع ورثة المؤلف

الطبعة الثالثة

تحتوي على الجزأين معاً

بيروت – لبنـــان

١٣٨٨ – ١٩٦٩

دار الأمانة ص. ب ٦٦٦٤

مطابع دار الكتب – بيروت – ص. ب ٣٥٥٩

أضواء البيان

محمّد كُرد علي وأمراء البيان [1]

تقديم

الدكتور سامي الدّهان

عضو مجمع اللغة العربية بدمشق

الكتب في الدنيا شبيهة بالناس ، منها الخالد ومنها العابر ، والخلود وقف على استمرار الذكر ، ودوام الصّدى ، وتتابع النفع ، فالموت لا يختم الحياة دائماً ، وانما يخلد الانسان ، وتحيا الكتب بعد الموت بالذكر ، والذكر عمر ثان .

وكتاب « أمراء البيان » للأستاذ محمد كرد عليّ من الكتب الخالدة ، نقرؤه اليوم ، كما كان الأدباء يقرؤونه قبل ثلاثين[2] عاماً ، حين صدرت طبعته الأولى ، فقد استكمل له صاحبه عدّة التأليف ، وحشد له ما يحشد الغربيون لأعلامهم الأدباء من جهد ودقة واستيعاب . فاستعرض قبل تأليفه كتب الرجال في التراجم ، وقرأ كتب التاريخ ، ونظر في كتب البلدان ، ودقق في كتب الأدب والعلوم المختلفة ، ورجع إلى الكتب الفرنسية والموسوعات الكبرى ، فلم يغادر منها ما ينفع في دراسة هؤلاء « العشرة المبشرة بالبلاغة في عصر العرب الزاهر » كما قال في مقدمته عنهم .

---

(١) ١٨٧٦ – ١٩٥٣ .

(٢) طبع في القاهرة في ١٦ فبراير على جزأين سنة ١٩٣٧ .

اختار هؤلاء العشرة من عيون الكتابة في البيان العربي ، على ذوق رفيع وعلم عميق ، وتجربة مثالية ، فتناول بالدراسة عبدالحميد الكاتب ، وابن المقفع ، وسهل بن هرون ، وعمرو بن مسعدة ، وابرهيم الصّولي ، وأحمد بن يوسف الكاتب ، ومحمد بن عبدالملك الزيات ، والجاحظ ، والتوحيدي وابن العميد .

وهذه أسماء خيّرة نفعت الكتابة العربية ، ونفحتها بأجمل ما تنفح العقول العبقرية ، تلفّت اليها قلم الأستاذ كرد علي أول من تلفّت على صفحات مجلته « المقتبس » منذ ستين عاماً . وقد تعاقبت في السنين الأخيرة دراسات في بعض هؤلاء الأعلام ، فاعتمدت هذا الكتاب ، وعلّت منه ونهلت فخرجت على دنيانا في صفحات كثيرة مثقلة ، ولكنها ما تزال بعيدة عن الاستيعاب الذي قدّر لهذا الكتاب « أمراء البيان » .

وبقيت من هؤلاء الأعلام أسماء أخرى تناولها الأستاذ كرد علي بالدراسة ، منذ سنين ، ولكنها مع ذلك ما تزال تنتظر الباحث الدارس ، الذي يتلفّت إلى بيانها ، وينظر إلى الجوانب اللامعة فيها ، فالكتاب على هذا ، ما يزال في موضعه من الاكبار والجدّة ، وما يزال مرجع الطلاب والأدباء وسيظل كذلك إلى أن يتوفر للدارسين ما توفر لمؤلف « أمراء البيان » من حظ وجدّ .

فقد رجع الأستاذ محمد كرد علي إلى كتب قديمة ما تزال مخطوطة (١) مجهولة إلى هذا اليوم ، وقرأ كتباً ثمينة مطبوعة في الغرب ، تفتقدها أكثر الخزائن الجامعة ، فهي نادرة ثمينة لا تصل اليها الأيدي لزماننا ، ولا يتناولها الطابع المقلّد حتى بالتصوير الشمسي .

واستطاع المؤلف أن يقرأ كتباً في فروع مختلفة ، لا يرجع اليها طلابنا

---

(١) أنظر المصادر التي ذكرها المؤلف في نهاية الكتاب .

في الأدب سواء في الفلسفة أم في البلدان والتاريخ ، لأنهم لم يؤمنوا بعد بأن دراسة الأديب لا تتوقف على دراسة آثاره فحسب ، وانما تتطلب دراسة الآراء والتيارات ومطالعة الآثار المعاصرة من كل فن .

والأعلام من الكتاب الذين تناولهم الأستاذ محمد كرد علي نظر اليهم من جانب طريف كما ينظر الغربيون تماماً ، فأرسل بصره في ابن بطلان وابن جبير ، وعبد اللطيف البغدادي ، وابن خلكان وابن العديم وابن الطقطقى وابن أبي أصيبعة ، والنويري[1] . فلم يقف عند كتاب النثر الفني كما فعل الدكتور زكي مبارك ، ولم يتناول كتاب النثر المعروفين وحدهم في المدارس الثانوية وحصص الجامعة . وإنما نظر إلى الكتابة « التي تؤدي المعاني الجليلة في الألفاظ القليلة » ، من غير تكلف أو تصنع ، فهو يتحدث عن ابن فضل الله العمري والصفدي وابن منظور والمقريزي ، كما تنظر كتب الأدب الغربية إلى أدبائها ومؤرخيها ، وكتاب الرحلة وعلماء النفس حين يرتفعون إلى مرتبة الكاتب الأديب في صفحاتهم .

وهذه نظرة جليلة سبق بها الأستاذ كرد علي مؤلفينا والباحثين في ربوعنا ، فتوسّع في التحليل ، وتعمق في الحكم ، كما أطال في دراسة المصادر العربية الكثيرة ، واعتمد على الاستشهاد بالنصوص ، ومن خلال ذلك كله خرج في ستمائة صفحة لعشرة كتاب ، فكأنه أفرد كتاباً لكل منهم .

ولقد أتيح للرجل أن يبلغ منذ سنين إلى هذه الأمنية العلمية الرفيعة في قراءة ما قرأ بحيث يعجز الدارسون اليوم عن استيعاب ما استوعب ولو استعانوا بكثير من الصبر والدأب . ذلك لأن هذا الكتاب قرين كتابه « خطط الشام[2] » صبّ فيه خلاصة تجاربه وقراءاته في رحلات عديدة ، ومطالعات فريدة في خزائن الغرب والشرق ، على ظروف نادرة ،

---

(١) انظر امراء البيان : ٢٢ .

(٢) صدر في ستة أجزاء كبيرة بدمشق من سنة ١٩٢٥ — ١٩٢٨ .

وتعشق للأدب الرفيع ، ومعالجة للكتابة الواقعية .

ويحسن بنا أن نذكر هذه الرحلات ، وأن نرسم هذه الظروف التي اتيحت للمؤلف ، ليقف القارىء على أسباب التوفيق ، وليعرف أن الذي أصابه الرجل في عيشه عجيب غريب ، في قلق واضطراب ، مع تعمق وبعد نظر فيما وقع له وفيما حصل عليه ، فكانت هذه الحياة النادرة .

ونحسب أننا حين نتناول حياة المؤلف الأديب في صدر « أمراء البيان » . بشيء من العرض والاستنتاج ، لا نتوقع أن ننتصر في التعريف به كما عرّف بأمرائه ، ولكن حسبنا أننا نستطيع أن نقنع القارىء بهذه الخطوط الواسعة أن المؤلف اختار أدباءه في ذوق ، وتناولهم في تجربة وحذق ، على الرغم مما دخل فيه خلال حياته من جهد ومن عنت ومن جدّ متواصل حتى كانت حياته حريّة بالدراسة والتحليل ، كحياة « أمراء البيان » أنفسهم سواء بسواء .

فقد ولد « محمد فريد » سنة ١٨٧٦ قبل أن يحتضر القرن التاسع عشر ، في أسرة من الأكراد قدمت من السليمانية بشمالي العراق ، وقطنت قديماً بدمشق ، وعملت في الزراعة والتجارة ، فكانت بعيدة كلّ البعد عن الكتب والعلم والتأليف .

ولكن أباه « عبد الرزاق » أسلم ولده منذ السادسة الى التعلم في المدرسة الابتدائية ، وصحبه في نزهاته وغدواته خلال « الغوطة الغناء » التي تلف دمشق كالسوار ، فسبحت عينا الطفل خلال الجنان الواسعة ، في الأنوار والظلال ، من غير أن يشعر به أحد ، وكانت قرية أبيه « جسرين » في قلب الغوطة صورة للريف السوري في الغنى والخصب والجمال ، لذلك كانت مراده خلال شهور العطلة ، يعبّ منها كما يفعل الطلاب الغربيون حول حدائق التويللري وتيرغارتن وهايدبارك ، فاشترك معهم في شرب الجمال والنشوة بالطبيعة ، وعشق الأرض ورقص قلبه

لتراقص الأوراق وتفتح الأزهار ، وتلاعب النسيم ، ومنظر الحصاد ، وخرير السواقي ، وأراجيح الطفولة .

واجتمع على الطفل حب الأهل والأقارب تحيط به العيون وتكلؤه القلوب ، وتهفو إلى جماله حسان الأسرة والزوار ، وهي تحنو على الطفولة الذكية ، والبراءة الطاهرة ، والروح المرحة .

وكان هذا الجمال يشرق على نفسه من طبيعة فاتنة وامرأة ساحرة فيغذو قلبه بالاغراء والحب ، ويزرع فيه الميـــل إلى الجمال والشعر ، ولكن القدر شاء أن يصرفه عن الشعر والقوافي الى النثر والابداع والكتابة . فقد ذكر أنه زار وهو في السادسة من عمره منزل الشيخ محمد الطنطاوي ، مع أهله ، فرأى منظراً لم تعهده عيناه ، كان له أثر بعيد عميق في نفسه ، فقد شهد لأول مرّة في بيت هـــذا العالم رفوفاً من الكتب صاعدة إلى السماء ، إلى سقف البيت ، صعد اليها نظره في جهـــد ، وتعلّق قلبه بأعمدتها ، فخيّل إليه أن هواه في هذه الرفوف ، وأحبّ هذه المشاهد الجديدة ، والمناظر المثيرة ، وحسب أنها لعبة العمر ، فظل معهـــا منذ طفولته حتى آخر نظراته في الدنيا .

تعلّق بها كما يتعلّق الأطفال بالدمى ، وطالب أباه أن يكون له منها ما رأى في بيت الشيخ ، وأبوه العاميّ الطيّب يحبّه ، ويحبّ أن يكون لابنه ما للشيخ ، فاشترى الكتاب بعد الكتاب ، واستقدم الأستاذ إلى داره بعد الأستاذ ، وانقلب البيت إلى مكتب ، وانقلبت الغرف الواسعة إلى مكتبة .

وراح الطفل في لهوه الخطير ، تمزّق عيناه حجب السطور القاتمة السوداء ، وتقتل ساعات لهوه البريء ، فأضحى مع هؤلاء الكبار يلهو بهم ويضحكون منه ، حتى هزيع من الليل ، فشكت عيناه هذه الصحبة ، وهزل جسمه ، ونصح الغريب والقريب لأبيه أن يبعده عن هذا اللهو القاتل .

فذلك يتطلب دراسة وموازنة ومقابلة ، لسنا في شيء منها هنا في هذا التقديم ، وإنما أردنا أن نلمع إلى ولادة الكتاب ، وموضع الحمل فيه — إذا صحّ التعبير — .

فقد ولد الكتاب إذاً في مصر بين أمراء البيان في صدر هذا القرن ، يتحدّث عن أمراء البيان في العصور الأولى للأدب العربيّ ، وكان أعلام المؤلفين في القاهرة يأخذون أنفسهم بدراسة الأوائل والكتابة فيهم ، كأنهم يناشدون الجيل الصاعد في السّير على غرار الأجيال اللامعة ، وقد أحب الأستاذ محمد كرد علي أن يُعنى بكتاب النثر ورجال الفكر القدماء ، وزملاؤه يعنون على الغالب بشعراء العصور الزاهرة على مقالات جمعت بعد ذلك في كتب مستقلة ، فقد كان أدب المقالة طاغياً على كل شيء عداه .

ولم يطل المقام بالأستاذ محمد كرد علي في مصر ، إذ أعلن القانون الأساسي سنة ١٩٠٨ ، وسقطت دولة الاستبداد ، وذهب عنه الخوف من العثمانيين فعاد إلى دمشق ، وأنشأ فيها مطبعة ، وأكمل فيها اصدار « المقتبس » يومية ، وهي أول جريدة يومية صدرت في عاصمة الأمويين ، وصاحبها في الثالثة والثلاثين من عمره .

ولكن صاحبها تحمّل في سبيلها من الحسد والعنت والدسائس ما يتحمل غالباً أصحاب الصحف ، وهدّد الرجل بالاغتيال ، ثم أغلقت الجريدة ، وترصّد له الوالي للقبض عليه .

عند ذاك هرب من دمشق خفية إلى لبنان ، ومن بيروت ركب البحر الى فرنسة ، سنة ١٩٠٩ ، ووصل هذه المرة باريس ، بعد أن صرفه القدر عنها منذ ثماني سنوات . وفي هذه الحاضرة رأى كلّ ما كان يطمح إلى أن يراه من مؤسسات علمية وصحافية ، فزار « المجمع العلمي الفرنسي » وتأثر به ،

حتى قال فيما بعد : « وقلت : هل يكتب لنا المستقبل تأليف مثل هذه المجامع[1] » وسنرى أنه حقق هذا الحلم ، وأنشأ المجمع العلمي العربي بدمشق .

وهكذا سار الرجل أبداً على قدمين منذ صباه ، من حضارة الغرب وأمجاد العرب ، يجمع تراث العرب القدماء إلى أمجاد الغربيين . فلما رأى باريس اكتمل في ذهنه منهاج عميق لاصلاح قومه في كل جانب ، وخاصة في التأليف والكتابة واللّغة . وآثر بعدها أن ينصرف عن السياسة إلى العلم والبحث ، كما نصحه صديقاه في القاهرة جرجي زيدان ويعقوب صروف ، فقد أدركا أن الرجل لم يخلق للصحافة اليومية والعمل السياسي ، وإنما هو بالبحث الجدّيّ ألزم ، وبتحقيق الكتب القديمة أو التأليف في الأدب والأدباء أجدر وأحرى .

لذلك فكر في أن يمضي وراء قدره الجديد باحثاً عن تاريخ الشام وآداب العرب ، وقد بلغ الأربعين من العمر ، فوضع نصب عينيه ما قام به من قبل الأمير ليوني كايتاني في « حوليات الاسلام » . ورأى أن يسافر اليه ، فقد جمع هذا الأمير العالم كلّ مصادر التاريخ الاسلامي مخطوطة ومطبوعة . إذ صوّر المؤلفات العربية القديمة في هذا الموضوع وجمعها من أطراف الأرض كلها ، وجعلها على أشرطة وصور من الخزائن الخاصة والعامة ، ورصفها واحداً بعد واحد في ترتيب تاريخي ، على رفوف جعلها لهذا الغرض ، واصطاد كلّ ما طبع في التاريخ من حواضر الغرب منذ ظهور الطباعة بالعربية في الغرب ونزل رومة وغدا إلى مكتبة الأمير «كايتاني» يزورها مع الصباح ويغادرها مع المساء ، ينقل وينقل حتى استنفد ما يريد لتاريخ الشام . وما يزال «كرسيّه» فيها رأيناه مجللاً باسمه ، تحيط به خزانة من أفخم ما تجمع من المصادر التاريخية العربية والاسلامية ، لا تكاد تلحق بها خزانة في ربوعنا ، على ما نملك من أرج الفخر بأجدادنا ، ومن رصيد الأموال

---

(١) غرائب الغرب ١/١٠٦ .

في المصارف الغنية .

وعن هذه الخزانة نقل كلّ ما نراه في « خطط الشام » في اختصار لا يستطيع غيره لزمانه ، فالناس حوله لم يبلغوا آنذاك إلى الايمان بتاريخ للشام في ست مجلدات ، ولولا أن صحبه قاموا في السعي لطبعه ما رأى النور . فقد قامت لجنة من فضلاء دمشق . بعد كمال تأليفه ، في فتح باب الاشتراك لطباعته ، قوامها : « بدر الدين الداغستاني ، خليل مردم ، فخري البارودي ، فوزي الغزي ، لطفي الحفار » فطبعت أجزاءه الستة من سنة ١٩٢٥ ــ ١٩٢٨ ، أي بعد عشرين عاماً تقريباً من بدء كتابته .

والذين يعرفون تاريخ الأعلام عندنا يعرفون أيادي هؤلاء الرجالات في طباعة هذا التاريخ الضخم ، فهو أكبر ما ألف في تاريخ الشام حتى اليوم ، على دقته وايجازه ، واعتماده على المصادر الأصلية ، من غير تلفيق أو تزويق . وهو وحده بين الأيدي موضع الثقة واليقين ، تنقصه الاشارات إلى المصادر التي نقل عنها بذكر الأجزاء والصفحات في كل موضع . وقد حذف الأستاذ محمد كرد علي هذه الاشارات والدلالات على النصوص والشواهد ، على كره منه ، ليخفف من أعباء الطباعة ، وليزيل عن كاهل المشتركين ثقل النفقات [1].

ومن هذه الخزانة نفسها أكمل النصوص التي أعانته على نشر كتابه « أمراء البيان » ، فنحن لا نشك في أنه أفاد منها ، ووجد عندها مالم يقع عليه في القاهرة ، ولكننا لا نستطيع أن نقطع في الأمر إلاّ إذا وازنا بين مجلة المقتبس وما نشره في الطبعة الأولى للكتاب .

ومهما يكن من أمر فقد بلغ غاية ما يسعى اليه الباحث في التاريخ والأدب ،

---

(١) خلف المؤلف نسخة من خطط الشام ، مصححة ، مذيلة بذكر الصفحات والأجزاء والمصادر ولكنها لم تطبع الى اليوم .

ووجد ضالته في خزانة الأمير كايتاني وفي خزانة الاسكوريال بعدها ، وخزائن باريس ولندن وبرلين ، فأكمل سعيه في التأليف والجمع والتثبت ، وخرج كتاباه خطط الشام وأمراء البيان على ايمان ويقين وثقة .

ولعل القارىء يتساءل في كثير من الدهشة إلى انصراف المؤلف عن التأليف في الشعر إلى النثر ، فقد آثره على الشعر كلّ عمره ، كما يعرف ذلك المقربون إليه ، ولقد أشاد بالكتاب القدماء وامتدحهم فقال : [1]

« رفع ملوك بني العباس بلغاء كتابهم إلى الوزارات وقلّما رفعوا شاعراً لشعره ، لأن الشعر خيال وحسّ والكتابة عقل وحقيقة ، وحاجة الممالك في تدبيرها إلى العقول أكثر من احتياجها إلى العواطف ، والعلوم على اختلاف ضروبها تكتب نثراً » .

ويقول بعدها في أمراء البيان :

« والكتاب هم ألسنة الملوك ، إنما يتراسلون في جباية خراج أو سدّ ثغر ، أو عمارة بلاد ، واصلاح فساد ، أو تحريض على جهاد ، أو احتجاج على فئة أو دعاء إلى إلفة » .

ولسنا في صدد العودة إلى تحليل الكتاب ، فنحن نشير إلى حبّه للنثر والكتّاب، وسعيه إلى التأليف فيهم ، وجهده في جمع المصادر عنهم ، وكتابة « جزازاته » في القاهرة ، وفي رومة ، وفي مدريد ، ثم طباعته بدمشق بعد فترة طويلة جداً .

ذلك لأن الحرب دقت طبولها بعد عودته وما عرف الأستاذ كرد علي في حياته قراراً ولا هدوءاً فأرسله العثمانيون في وفد إلى الأستانة ، والحجاز ، فأطاع خوف الوشاة والدساسين ، وهو يعترف أن ما خرج من قلمه خلال ذلك كان « من كتب الدعاية السمجة في الحرب الممقوتة » .

---

(١) أمراء البيان : ١٥ .

وما حيلة الرجل اذا كان قومه يدفعون به دفعاً إلى السياسة ، فيسير على سننها خوفاً أو كرهاً ، وهمّه في التاريخ يخرج فيه أحسن الكتب ، وهواه مع الأدباء أمراء البيان يرسل فيهم أوسع ما صدر حتى اليوم .

وظل الرجل يتخبط خلال الحرب حتى انقشعت غمامتها ، واستقلّت سورية ، فعينه الحاكم العسكري الفريق علي رضا الركابي رئيساً لديوان المعارف ، وهو في الثالثة والأربعين من عمره .

وانقلب هذا الديوان نفسه في ٨ حزيران ١٩١٩ ، برئيسه وأعضائه على يد هذا الحاكم العسكري إلى « المجمع العلمي العربي » ، وهو أول مجمع علمي عربي ابتكره الرجل في العالم العربي ، على غرار « المجمع الفرنسي » حذت حذوه مصر بعد ذلك ، وقلدتهما بغداد ، وسرى في العالم العربي ريح العمل للغة العربية لأنها ركن القومية ، وصرح التاريخ العربي ، ومنارة الأجيال القادمة .

ولقد اشتهر المجمع باقتراحاته ومقالاته ومحاضراته وكتبه ومجلته ، وغدا قبلة الجيل العربيّ الناشيء ، ومثابة العلماء والكتاب والشعراء من كل بلد عربيّ يراسل المستشرقين ، ويكاتب العرب ، وتنعقد فيه الحلقات ، ويدعو الى المهرجانات لتكريم الأحياء والأموات ، وما يزال مديناً للرئس بخططه ومناهجه إلى اليوم .

ولقد اعترف القوم للرئيس بجهوده وأياديه ، فدخل الوزارة مرتين ، وطاف خلال الوزارة بلجيكا ، وهولندة ، وانكلترة ، واسبانيا ، والمانيا ، وسويسرة ، فرأى مرابع أوربة أربع مرات ، وتعرف الى المستشرقين في حواضرهم ، وزار مكتباتهم ومتاحفهم ، وعاد من ذلك بزاد كريم من كتب ومقالات ومذكرات ، وقد أربى على الخمسين من عمره .

ومن العجب أن يعمل الرجل على تقوية الجامعة ، وأن ينشىء مدرسة الآداب العليا ، وأن يفكر في افتتاح كلية الإلهيات ، وهو لم تكتب له شهادة

جامعية ، في عصامية نادرة ، ابن رجل عاميّ تاجر ، عاش صحفياً ، ثم كاتباً ، ومؤلفاً ، ووزيراً ، ورئيساً للمجمع العلمي ، وعضواً في المجامع العلمية العربية وغيرها .

ومن أشد العجب أن يبدأ بالسجع المنمق القديم وأن ينتهي إلى مضارعة القدماء الفحول ، وتأليف العلماء المجودين ، وتحقيق المخطوطات القديمة ، وانشاء دراسات في الأدب والأدباء غدت مرجعاً للجامعيين وحملة الشهادات العليا .

ولقد أكبره المعاصرون من كبار الأدباء ، فرأوا أن كتبه من صميم الأدب ، وأن أسلوبه حيّ واقعي ، وأن أصالته تزداد سنة بعد سنة في كل ما يخرج ويؤلف ، سواء في رحلاته أم في القديم والحديث ، أو في مذكراته ، وفي الحضارة العربية ، وكنوز الأجداد ، ورسائل البلغاء ، وأمراء البيان .

والذي ننتهي إليه من هذه الترجمة[1] السريعة والخطوط العريضة لحياته كلها انه علق بالنثر والكتابة عند صباه ، وعمل لها كل أيامه ، فتدرج من تكلف النسج على منوال المتأخرين حتى بلغ إلى السهل الممتنع ، وذلك بفضل تمرسه الطويل في كتابة المقالة ، والدراسة والبحوث ، فقد دخل في تجربة الأدب والأدباء ، واستطاع أن يرسم تجربة الأدباء في عصور العربية الزاهرة في كتابه « أمراء البيان » .

وقد قلنا اننا لا نستطيع أن نوازن بين ما نشره من هذه البحوث في مجلة المقتبس ١٩٠٥ ، وبين ما طبعه بعد ذلك ، لنرى مبلغ التطور والاضافة والحذف ، ولكننا نستطيع أن نحكم على دراساته ، فقد كتبها بأسلوب بياني عجيب ، يكاد يختلط بنصوص أمراء البيان الذين يكتب فيهم ، اشراقاً في العبارة ، ووضوحاً ، ودقة ، وسلامة بيان ، وايجازاً في التعبير ،

---

(١) أنشأنا دراسة في الرجل وآثاره بالمجمع العلمي ، طبعت سنة ١٩٥٥ في سبعين صفحة .

قصدنا بتسويد هذه الأوراق تصوير عشر صور حية في الجملة لعشرة من أمراء البيان. تصدينا لوصف عصورهم في السياسة والمدنية، وحاولنا الإلماع إلى العوامل المهمة في تنشئتهم وحياتهم، وتوخينا تحليل أدبهم وعلمهم، وعرضنا لمواضع الإجـادة فيما خلفوه من كلامهم. ترجمنا لعبد الحميد بن يحيي الكاتب، وعبدالله بن المقفع، وسهل بن هرون، وعمرو بن مسعدة، وإبراهيم بن العباس الصولي، وأحمد بن يوسف الكاتب، ومحمد بن عبد الملك الزيات، وعمرو بن بحر الجاحظ، وأبي حيـان التوحيدي، وابن العميد؛ وهم العشرة المبشرة بالبلاغة في عصر العرب الزاهر، يوم أضحى اللسان العربي لغة حضارة وعلم، وكان في القرن الأول لغة دين وأدب. وعسى أن يكون في ترسم طريقتهم عون على تمثل أساليبهم في الرقة والجزالة. والبيان العربي كالإسلام لا يحيا إلا بالاستقاء من رؤوس عيونه الصافية.

القاهرة { ٤ ذو الحجة ١٣٥٥ / ١٦ فبراير ١٩٣٧ } محمد كرد علي